

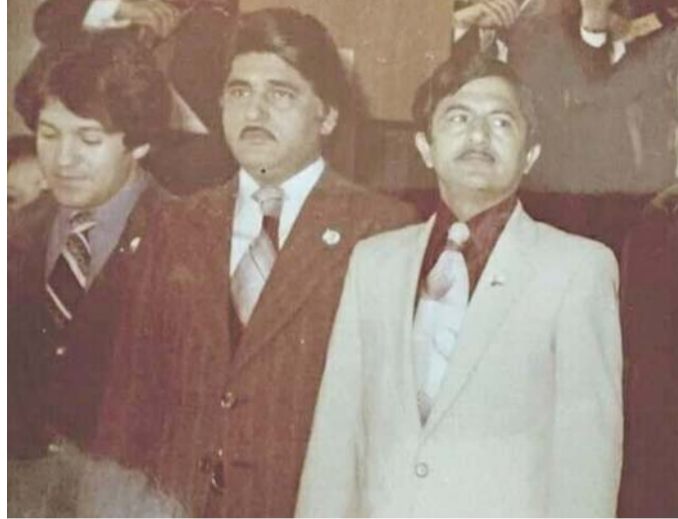
مطرب عراقي ترك الغناء ولم يتخل الجمهور عن أغانيه

قحطان العطار

صوتٌ خذل الملايين من عشاقه



● العطار يعيش اليوم عزلة شخصية، وهذا خياره الذي علينا أن نحترمه جميعاً، لكنه في الوقت نفسه مطالب بتفنيد كل القصص التي تجعل منه ضحية.



● قدر الغناء العراقي أن يكون حاضراً وبقوة أيام الحرب العراقية - الإيرانية. وفي تلك الفترة ظهر العطار على شاشة التلفزيون يغني للانتصارات.



● بعض الكتابات والبرامج التلفزيونية تزعم أن العطار كان ضحية سياسية، لكنه كان جزءاً من كل ما كان قائماً آنذاك، ولا يمكنه التبرؤ من تاريخه.

إلى اليوم محملة بالتساؤل المرير "متى الجيبة" التي لحنها الفنان المصري الراحل سعيد البنا بحس عراقي فائق التعبيرية.

ومن السهولة بمكان لمن عاش عقد التسعينات أن يستذكر ما بقي من سيرة العطار منذ عام 1990 وأحداثه العاصفة التي كسرت الجغرافيا وهزت التاريخ. فقد لجأ مثل مئات الآلاف من العراقيين إلى البلدان الأوروبية، وعاش لاجئاً في الدنمارك منذ ذلك الوقت، يغني بينه وبين نفسه وفي جلسات منازل الأصدقاء، بنفس الحس التعبيري البانخ الذي كان يؤدي فيه أولى أغانيه.



أغاني العطار تظل جديدة كما هي، ترفض الموت أو حتى النسيان، يعاد تقديمها من جديد بأصوات أكثر من مطرب من الأجيال اللاحقة، على الرغم من أنه بدأ القطيعة منذ نهاية ثمانينات القرن الماضي مع غناؤه ومع من أحبه

عندما استمع له يعيد رائعة أموري والشاعر كاظم الرابي لصوت فاضل عواد "كلمة حبيبي انتهت" أشعر مثل غري من العراقيين بالخسارة الفادحة التي تكبدها الغناء العراقي والخذلان الذي سببه العطار لجمهوره رفض إلى اليوم التفریط بحبه له.

العطار لم يكن ضحية سياسية كما تزعم برامج تلفزيونية وكتابات كثيرة تعبر فوق الحقيقة. كان جزءاً مما كان قائماً آنذاك، ولا يمكن له التبرؤ من تاريخه الفني والشخصي بمطالبة بعض الذين ينشرون أناشيده الوطنية على فيسبوك بحذقها.

يمكن العودة إلى تصريح فرحان الذي بقي أقرب الناس إليه، لتكتشف جوهر الحقيقة الغائبة بقوله في برنامج تلفزيوني "لم تكن لقحطان مشكلة سياسية مع النظام آنذاك وسافر بشكل طبيعي". هذا الكلام يفند بشكل جازم ممارسة دور الضحية الذي يجب أن يلعبه بعض العراقيين.

لم يجب العطار على كم هائل من الأسئلة تعاد كلما أعيدت واحدة من أغانيه بصوت شباب اليوم، مثلما يسأل فتى والده عن هذا المطرب الوسيم الذي تبع بعض القنوات الفضائية العراقية بعد اغنيته باللون شاحبة، من هذا وأين هو الآن؟ يحسار الأب وينظر إلى زوجته مستذكراً معاً أغنية جمعت عشقهما معاً، تماماً مثلما تباهى فرحان أمام زوجته بأنه ملحن "يقولون غني بفرح".

قحطان العطار يعيش اليوم عزلة شخصية، وهذا خياره الذي علينا أن نحترمه جميعاً، لكنه في الوقت نفسه مطالب بتفنيد كل القصص التي تجعل منه ضحية، والاعتراف بأنه خذل الملايين من العاشقين ولها بصوته.

شاكراً جزءاً من تلك الحقائق في حوار تلفزيوني. وارى أن الحارس شبيب كان الأقرب للعطار وقادراً على أن يكون شاهداً على التاريخ.

عاد من ميشيغان إلى بغداد ودارت معه الأغنية العراقية من جديد، لكن قدر البلاد الدامي أنها لا يمكن أن تتوقف عن ذرف الدموع، منذ أن رثى ذلك السومري ابنته القتيلة.

بدأت الحرب العراقية - الإيرانية عام 1980 وكان للغناء العراقي قدر أن يكون حاضراً بقوة الجنود. فظهر على التلفزيون المغني العاشق السابق كجندى ببدلة عسكرية في "قادسية صدام"، وهو يغني "راح البس هدم الجيش والحق أخوي إلى وحدته" التي كتبها الشاعر كريم راضي العماري، ومن ثم "عراقيين وكلنا نخمي هذه الكاغ" التي كتبها الشاعر الراحل كريم خليل. أنشودتان وطنيتان من الحان الموسيقار الراحل طالب القرة غولي أجبهما العراقيون مثلما أجبوا "غني بفرح" و"لو غيمت دنيا" و"يا ضوى ولايتنا"، ثم أنشودة "ياحلاوة الانتصار" التي كتبها الشاعر غازي تجيل ولحنها الموسيقار الراحل ياسين الراوي، وبعدها أنشودة "الحرس الجمهوري" المشتركة مع حسين نعمة ورياض أحمد وياس خضر.

من المفارقات أن أنشودة "عراقيين" سرقتها أحدهم وقدمها في الإذاعة الليبية بعد أن غير مفردة عراقين إلى لبيين. كانت تبث تلك الأنشودة كواحدة من الأناشيد الوطنية الليبية. وعندما استمعت لها لم أفاجأ كثيراً، لأن جمالية الأنشودة ولحنها كانا مغريين على السرفة، فضلاً عن سهولة تغيير بعض المفردات من عراقيين إلى لبيين.

هجرة الاعدودة

فما الذي حصل بعدها كي يتحول العطار وكانه الضحية الوحيدة بين العراقيين، بينما هو في حقيقة الأمر كان المطرب المدلل، في وقت بإمكان كل العراقيين أن يقول كذا ضحياً؟

سُمع للعطار، بينما الحرب مستعرة في سنيها الأولى من ثمانينات القرن الماضي، بالسفر من دون غيره من الفنانين والمواطنين الذين منعوا من السفر تحت وطأة ظروف الحرب.

نشرت جريدة الجمهورية البغدادية آنذاك خبراً عن سفر العطار إلى الكويت، وكانت المفاجأة لغيره من الفنانين الذين نسوا أغانيهم العاطفية وهم يطولون علينا ببدلاتهم العسكرية في أناشيد حماسية. بقي على مدار عقد الثمانينات في الكويت، واستمرت أغانيه العاطفية بالبحث من الإذاعة العراقية، وكان من حسن حظه أن يكون قريباً من الشاعر الكويتي الراحل فايق عبدالجليل، فاختار أن يعيد لحن الموسيقار محمد جواد أموري لأغنية "أنت أنت" التي سبق وأن أنشدها حميد منصور، ثم تعاون مع عبدالجليل في أغنية أخرى ما زالت

في الإذاعة العراقية والتلفزيون مع أنه صار يعيش في الولايات المتحدة، حتى أن برنامج "مطرب اليوم" الذي كان يبث ظهر كل يوم من إذاعة بغداد، لا يمر أسبوع أو عشرة أيام من دون أن يكون العطار مطرب ذلك اليوم فيه، حيث يخصص له بحدود الساعة لبت مجموعة من أغانيه.

العودة إلى بغداد

بعد ما يقارب الأعوام الخمسة قضاها العطار في أميركا، عاد إلى بغداد عام 1979 وكان المحتفى به من جديد. خصصت له السيدة خيرية حبيب في برنامجها الأسبوعي آنذاك "عسة الفن" الذي كان يعده الراحل خالد ناجي، مساحة تلفزيونية ابتهج بها العراقيون بعودة الصوت الذي كان يجمعهم ولها وعشقا.

كان العطار صديقاً لحارس مرمرى نادي الطيران والمنتخب العراقي كاظم شبيب، وتحول بعدها صديقاً لكل نجوم المنتخب العراقي لكرة القدم آنذاك وطالما سجل حفلات بحضورهم انتشرت على أشرطة الكاسيت.

وتكاد اليوم نخبة من الأحياء من أولئك اللاعبين أن تكون شاهداً صادقاً على تجربة العطار بعد عودته إلى العراق، وسبب هجرته لاحقاً وخذلان جمهوره في رحلة الاعدودة للغناء مرة أخرى. سبق وأن كشف اللاعب السابق ومدرب المنتخب الوطني الراحل ناظم

هناك قصص تهول من الدلالة السياسية لتلك الأغنية وتعزوها إلى نوع من التحدي لتعليمات أصدرها نائب الرئيس العراقي آنذاك تطلب بالتخلص من مسحة الحزن في الغناء العراقي. قد تكون صحيحة تلك التعليمات التي صدرت آنذاك، لكن معرفة عدد المرات التي كانت تبث فيها الأغنية من الإذاعة العراقية والتلفزيون، تندخ مصداقية تلك القصة المركبة وتجاهل عن عمد سلطة الدولة الصارمة بقرارات المنع، فكيف بأغنية تنهك على تعليماتها؟ لذلك يبدو ربط الأغنية بتعليمات نائب الرئيس آنذاك مجرد لعب مكتسوف مع التاريخ السياسي العراقي.

ثم إن اختصار تجربة شاعرنا الغزي بهذه الأغنية كتحدٍ لدولة أهملته كشاعر، نوع من الجهل لما كتبه من أغان رائعة ومبهجة، هل تتذكرون "عل الحواجب يلعب الشعر الحريز" و"عيني يم عيون تضحك" و"تريد مني التفاح" لصوت فاضل عواد؛ ذلك هو الشاعر جبار الغزي الذي يراد أن تختصر تجربته كلها في "يقولون غني بفرح".

لو غيمت دنياي

استمتم فرحان نجاح أغنيته، وقدم أجمل منها لصوت العطار الذي صار يجسب على أبناء جبل السبعينات: ياس خضر وفؤاد سالم وحسين نعمة وسعدون جابر، مع أنه كان في مجموعة مثلت الظل لهذه الأسماء مع صباح السهل وهادي سعدون ورضا الخياط ورياض أحمد وحاميد منصور وصباح غازي.

أغنية أكبر بكثير من حقيقتها. جبار الغزي شاعر مثل الجوهرة الأثمن في قلادة الغناء العراقي، لكن لسوء حظه العاشر عاش حائراً بحياته، ضائعاً، يشنق لأمه التي تركها في قرى الناصرية، بينما هو تائه في طرقات بغداد.

ومن يستمع لقصيدته "غريبة الروح" التي لحنها فرحان لصوت حسين نعمة يدرك ما معنى أن يكون الشاعر غريباً عن هذا العالم. نجحت "غريبة الروح" بصوت نعمة وما تزال الممثل التعبيري البانخ له، مع أنها قُدمت في مطلع السبعينات.

استمتم فرحان هذا النجاش والحزن "غني بفرح" لصوت نعمة، وبالفعل سجّلت الأغنية وتم بثها من الإذاعة العراقية أكثر من مرة من دون أن تستقطب الأسماء، واليوم يمكن للسيد العظيم يوتيوب أن يقدمها لنا بصوت مطربها الأول بوصفه مدون الحقيقة. في الوقت نفسه تدرّب العطار على الأغنية مع فرحان وحالفه الحظ في تقديمها خلال حفلة مصورة في تلفزيون العراق آنذاك. كان أداءه باهراً في تلك الأغنية، ومعبراً إلى درجة جعلت العراقيين يعيدون اكتشاف العطار من القرن الماضي. وعندما أتبع له السفر لإقامة حفلات للجالية العراقية في الولايات المتحدة، كان من بين كبار مطربي ذلك الوقت، إلا أن العطار بقي هناك بينما عاد بقية المطربين. بقيت أغانيه العلامة المميزة

تخيل، نحن نتحدث عن ملحن الأغنية نفسها، فماذا عن الملايين من الذين استمعوا لهذه الأغنية ورفضوا التفریط بها بوصفها تعبيراً جمعياً عما يتوق له العاشقون برمتهم.

تكاذ تكون قصة هذه الأغنية مثالا للسيرة الحقيقية للعطار، وليس ما يتم تناوله من تهويل وتضخيم لهوامش لا تمت للحقيقة بصلة.

كان فرحان يقضي أسبوعاً مع زوجته في منتزه الزوراء وسط بغداد في سبعينات القرن الماضي. وكان من عادة العراقيين آنذاك حمل مسجلات الكاسيت معهم في النزاهات، بعضها يُعلق على المكثف. وفجأة يأتي الصوت لمسامع الملحن وزوجته "يقولون غني بفرح...". همس فرحان بأذن زوجته: اسمعي هذا لحن المعتر يعمر عن حبي. كانت الزوجة تدرك أنه لحن زوجها، لكن أن تاتيها الأغنية على غفلة في هذه النزاهة، هو ما يضرم المزيد من نار الحب في القلوب.

شعر الملحن حينها باهميته أمام زوجته، قال مرة وهو يستذكر تلك اللحظة التاريخية، بأنه شعر بقاتمه أطول كعاشق وملحن.

تلك واحدة من القصص التي تركها العطار في أغانيه، ويمكن اليوم للملايين من العاشق أن يرووا مظهرها، إلا أنهم على مستوى آخر يسألون لماذا غادرتنا العطار بينما كان المطرب المدلل بين أبناء جيله؟ من الأهمية بمكان استذكار قصة أغنية "يقولون غني بفرح" لأنها تعرف بامتياز بالعطار أولاً، إذا لا يذكر من دون أن تكون هذه الأغنية حاضرة، ولأن التهويل السياسي الذي رافق كتابة هذه الأغنية أكبر بكثير من حقيقتها.

جبار الغزي شاعر مثل الجوهرة الأثمن في قلادة الغناء العراقي، لكن لسوء حظه العاشر عاش حائراً بحياته، ضائعاً، يشنق لأمه التي تركها في قرى الناصرية، بينما هو تائه في طرقات بغداد.

ومن يستمع لقصيدته "غريبة الروح" التي لحنها فرحان لصوت حسين نعمة يدرك ما معنى أن يكون الشاعر غريباً عن هذا العالم. نجحت "غريبة الروح" بصوت نعمة وما تزال الممثل التعبيري البانخ له، مع أنها قُدمت في مطلع السبعينات.

استمتم فرحان هذا النجاش والحزن "غني بفرح" لصوت نعمة، وبالفعل سجّلت الأغنية وتم بثها من الإذاعة العراقية أكثر من مرة من دون أن تستقطب الأسماء، واليوم يمكن للسيد العظيم يوتيوب أن يقدمها لنا بصوت مطربها الأول بوصفه مدون الحقيقة. في الوقت نفسه تدرّب العطار على الأغنية مع فرحان وحالفه الحظ في تقديمها خلال حفلة مصورة في تلفزيون العراق آنذاك. كان أداءه باهراً في تلك الأغنية، ومعبراً إلى درجة جعلت العراقيين يعيدون اكتشاف العطار من القرن الماضي. وعندما أتبع له السفر لإقامة حفلات للجالية العراقية في الولايات المتحدة، كان من بين كبار مطربي ذلك الوقت، إلا أن العطار بقي هناك بينما عاد بقية المطربين. بقيت أغانيه العلامة المميزة



كريم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

لا يجد أي صحافي ذرية لاستعادة المطرب العراقي قحطان العطار اليوم غير الكتابة عن الذكريات، بيد أن العراقيين يرفضون إزاحتها من ذاكرتهم ولولهم باغانيه، رغم أنه قد فرط بفتهم وخذل الملايين من جمهوره منذ أكثر من ثلاثة عقود.

وعلى الرغم من كونه بدأ القطيعة منذ نهاية ثمانينات القرن الماضي مع غناؤه ومع من أحبه، إلا أن أغانيه بقيت جديدة كما هي، ترفض الموت أو حتى النسيان، كما أعيد تقديمها من جديد بأصوات أكثر من مطرب من الأجيال اللاحقة.



محسن فرحان

قحطان العطار لم تكن لديه أي مشكلة سياسية مع النظام السابق، وغادر العراق بشكل طبيعي

ولأن العطار علامة تعبيرية فارقة أرخت لتاريخ من الوله والوجع والتساؤل والعشق، لا يبدو أنه غاب أو سغيب، فمن حسن حظ التاريخ أن يوتيوب هو مؤرخ مخلص للماضي، واليوم يتاح لأجيال لم تعيش زمن العطار التعرف على أغانيه وكأنها قدمت بالأمس.

غني بفرح

على مدار السنوات الماضية قدمت العشرات من البرامج والاحتفالات وبالعطار وتاريخه الغنائي، غير أن ما يجمع كل تلك الاحتفالات والبرامج أنها كانت خالية من العطار نفسه. رفض أن يشارك في تلك البرامج لسبب متعلق بصمته وعزلته، دك من المعلومات المغلوطة والمبالغات التي تتعدم التهوريل بقصص ممارسة دور الضحية. إلا أن السؤال الواجب إطلاقه على قحطان يغيب بتعمد أو جهل أو انقياد للثقافة الإعلامية السائدة في العراق اليوم.

من خذل من؟ هل يملك قحطان العطار سبباً حقيقياً واحداً كي يخذل الملايين التي بقيت هائمة بصوته؛ أشك بذلك! كم عاشقاً أرخ لحبه بأغنية للعطار، وكم ذكرى بقيت حية إلى اليوم مع تلك الأغاني.

يعترف الموسيقار العراقي محسن فرحان ملحن أغنية "يقولون غني بفرح" التي كتبها الشاعر الراحل جبار الغزي، بأنه تباهى بالأغنية أمام زوجته ليرفع من قدر الحب بينهما.